نزار قباني

إضــاءات

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

ضوء الحب

١

ليس عندي مِهْنةٌ أخرى
سوى أن أُحبَّكِ..
ويومَ تستغنينَ عن مواهبي
وتتوقفين عن استلامِ رسائلي
سأصبحُ عاطلاً عن العملْ..

* * *

أُريدُ أن أحِبَّك..
حتى أعتذرَ للعالم
عن كلِّ الجرائمِ التي ارتكبَها
ضدَّ الأنوثهْ..

* * *

أدافعُ عن أُنوثتِكِ..
كما تدافعُ الغابةُ عن أشجارِها..

ومتحفُ اللوفر عن (الموناليزا).
وهولندا عن (فَانْ كوخ).
وفلورنسا عن (مَيْكيل أنجيلو)..
وسالزبورغ عنْ (موزارتْ)..
وباريس عن (عيونِ إلزا)..

* * *

أريدُ أن أحبَّك..
حتى أنقذَ المدنَ من التلوثْ
وأنقذَك..
من أضراسِ المتوحشينْ..

* * *

المرأةُ.. هي طبقةُ المِلحْ
التي تحفظُ أجسادَنا من التعفنْ
وكتابتنا من الاندثارْ..

* * *

عندما ترفعُ المرأةُ يدَها عنا
نصبحُ يتامَى..

❊ ❊ ❊

من أنا.. من دونِكْ؟
عينٌ تبحثُ عن أهدابِها.
يد تبحثُ عن أصابِعها.
طفلٌ يبحثُ عن ثَدْيِ أمِّهْ..

❊ ❊ ❊

عندما لا يتكئُ الرجلُ
على كتف امرأهْ..
يصابُ بشللِ الأطفالْ..

❊ ❊ ❊

عندما لا يجدُ الرجلُ امرأةً يُحبُّها..
يصبح جنساً ثالثاً..
لا علاقةَ له ببقيةِ الأجناسْ..

بغيرِ امرأةْ..
تصبحُ رجولةُ الرجلْ
مجردَ إشاعةْ..

* * *

لن ندخلَ إلىَ نادي المتحضرينْ
ما لم تتحولْ المرأةُ لدينا
من شريحةِ لحمْ.
إلى معرضِ أزهارْ..
كيف يمكنُنا تأسيسَ مدينةٍ فاضلهْ؟
ونحن نستعملُ المسدسات
الكاتمةَ للحُبْ؟؟

* * *

أريدُ أن أحبَّك..
حتى أدخلَ في دين الياسمينْ..
وأمارسَ طقوسَ البنفسجْ..

وأدافعَ عن صوتِ البلابلْ..
وفضةِ القمرْ..
واخضرارِ الغاباتْ..

***

لا تُمشِّطي شعرَكِ
على مقربةٍ مني.
حتى لا يُهرْهِرَ الليلُ على ثيابي..

***

أحبُّك..
ولا أضعُ نقطةً في آخرِ السطرْ
أحبُّك
حتى أعيدَ إلى الأرضِ كُرَويتَها..
وإلى اللغةِ زينتَها..
وإلى البحرِ معطفَه الأزرقْ..
فالأرضُ بدونك كذبةٌ كبيرهْ

وتفاحةٌ فاسدهْ..

❊ ❊ ❊

لم يبق في شوارعِ الليلْ
مكانٌ أتجولُ فيه..
أخذَتْ عيناكِ كلَّ مساحةِ الليلْ..

❊ ❊ ❊

لأني أحبُّك.. أريدُ أن تكوني
الحرفَ التاسعَ والعشرين من أَبجَدِيتي..

❊ ❊ ❊

لن أقولَ لكِ «أحبُّك»..
إلا مرةً واحدهْ..
لأن البرقَ لا يكررُ نفسَهُ..

❊ ❊ ❊

عندما ترفعين يدَك عن دفاتري
أُصبحُ قصيدةً من الخشبْ..

هذا العطرُ.. الذي تضعينهُ على جَسدِكْ
هو موسيقى سائلهْ..
وهو توقيعُكِ الخصوصي الذي لا يمكنُ تقليدُهْ..

* * *

«أنا لا أحبُّكِ من أجلِ نفسي
ولكن أحبُّك.. حتى أجمِّلَ وجْهَ الحياهْ..
ولستُ أحبُّك.. كي تتكاثرَ ذُريتي
ولكن أحبُّك.. كي تتكاثرَ ذريةُ الكلماتْ..»

* * *

ضوء الأنوثة

٢

إذا كانت الحضارةُ أنثى..
والثقافةُ أنثى..
واللغةُ أنثى..
والقصيدةُ أنثى..

والشجرةُ أنثى..

والثورةُ أنثى..

فلماذا ينفردُ الرجالُ بالسلطهْ؟؟

* * *

المرأة مدرسةُ رقِيْ

وتسعونَ بالمائةِ من رجالِنا

لم يذهبوا إلى المدرسهْ

* * *

لماذا لا نُعطي المرأةَ مفاتيحَ الثقافهْ؟

أليست إيلينا ميركوري.. أرقى.. وأجملْ..

وأكثر ثقافةً من الرفيقِ ستالين؟

* * *

أُريدُ أن أحبَّكِ..

حتى أبقىَ محتفظاً بمساحةِ صوتي

ولياقةِ كلماتي..

من لا يقرأُ كتابَ أُنوثتِكْ
يبقى أُميًّا طولَ حياتهْ.

* * *

اسمحي لي أن أُحبَّكِ
حتى أخرجَ من مرحلةِ عصورِ الانحطاطْ..

* * *

قيل أنه أتبلَّلَ بماءِ العشقْ
كنتُ نباتاً صحراوايّاً
من فصيلةِ الكاكتوسْ..

* * *

إذا تغرغَرْتُ باسمكِ على الهاتفْ
شاهدَ الناسَ على فمي
ألوانَ قَوْسِ قَزَحْ..

* * *

أنتِ.. أعطيتِ هذا الكونَ ألوانَهْ

ولولاك.. لكانتِ الكائناتْ
مرسومةً بالأبيضِ والأسودْ..

***

كلُّ امرأةٍ أُحبُّها
تذوبُ كالشمعِ في قصائدي.
ويختفي اسمُها
من سجلاتِ الأحوالِ المدنيهْ.

***

كُلَّ امرأةٍ أُحبُّها
تتحول إلى لغهْ
لذلك تزدادُ مفرداتي
وتقلُّ حبيباتي..

***

كلُّ رجلٍ سيقبِّلُكِ بعدي
سيكتشفُ على شفتيكِ

عريشةً من العنبْ
زرعتُها أنا..

❊ ❊ ❊

إني أحبَكِ.. كي أبقى على صِلةٍ
باللهِ.. بالأرضِ.. بالتاريخِ.. بالزمنِ..
أنتِ البلاد التي تُعطي هويتَها
من لا يُحبُّكِ.. يبقى دونَها وطنِ

❊ ❊ ❊

أنا لا أطمحُ أن أصبحَ قيصرْ
لا ولا أطمحُ أن أستلمَ العرشَ
فعرشُ الشِّعرِ أكبرْ..
كل ما أرجوه، يا سيدتي
أن تُحبيني قليلاً..
لا لشيءٍ.. إنما كي أتحضَّرْ..

❊ ❊ ❊

أريدُ أن أحبَّكِ..
حتى لا يطردوني من مدرستي
ويأخذوني..
إلا إصلاحيةِ الأحداثْ..

❊ ❊ ❊

كانت المرأةُ دائماً حبيبتي..
ولا تزالُ حبيبتي..
لكنني، أضفتُ إليها (ضُرَّةً) جديدة..
تُدْعى (الوطن)..

❊ ❊ ❊

أريدَ أن أحبَّك..
حتى أموتَ كالأشجارْ
وأنا واقفٌ على قصائدي..

❊ ❊ ❊

سألتُ العطارينَ على عُشبةِ الأُنوثهْ

فأعطوني عنوانَ بيتِكْ..

***

أُشْهِرُكِ في وجهِ العالمْ
سيفاً من الياسمينْ
وأُعلنُ انتصاري.
أُشْهِرُكِ في وجه تموز..
وعْداً بالمطرْ..
وفي وجهِ العصافيرِ..
وعْداً بالشجرْ..
أُشْهِرُكِ في وجهِ الصحراءِ.. نخلةْ..
وفي وجهِ الجفافِ.. سُنْبُلَةَ قمحْ..
وفي وجهِ الظلامْ..
شمعداناً من الذهبْ..

***

أُشْهِرُكِ في وجه البوليسِ العربي

أغنيهْ..

وفي وجهِ الكراهيةِ، حديقةَ حُبّ..

وفي وجه الموتِ، بشارةَ ولادة..

وفي وجهِ الزنزانات.. رايةَ حريهْ..

❊ ❊ ❊

أرمي جوازَ سفري في البحرْ..

وأسميكِ وطني..

أرمي جميعَ معاجمي في النارْ

وأسميكِ لُغتي..

❊ ❊ ❊

هذه هي حبيبتي.

فارفعوا لها قُبَّعاتِكُمْ

ولا تدوسوا على قَدَمَيْها الصغيرتين

فهي عَلَى موعدٍ معي..

❊ ❊ ❊

ضوء الحرية

٣

سألني ضابطُ الحدودْ:

كم عمرُك؟

قلت: خمسون عاماً من الشِّعرْ..

قال: يا الله.. كم أنت طاعنٌ في السِّنّ..

قلتُ: تقصدُ.. كم أنا طاعنٌ في الحرية..

❊ ❊ ❊

كلما ازدهر القمعْ.

ضاقت العبارهْ.

وكلما ازداد عددُ المخبرينْ..

تناقصتْ أشجارُ الياسمينْ..

❊ ❊ ❊

هل الشعرُ هو ديوانُ العربْ؟

أم محكمتُهم العسكريهْ؟؟

أردتُ أن أكونَ سفيرَ الكلماتِ الجميلهْ
فغلبني القُبحْ..
وأردت تشجيرَ الصحراءْ
فأكلني المِلحْ..

* * *

الشعرُ العربيُّ يمرُّ بحالة تصحُّرْ
تصحرَ نفساني.. وتصحر علقانيْ..
وتصحر وجدانيْ.
وتصحرِ قوميْ.
فإذا كنا نعيشُ بَحْرًا من الملوحهْ
فمن أين ستطلعُ حنطةُ الشعرْ؟؟

* * *

يا ربي:
إني قد وهنَ القلمُ مني..
واشتعل الحِبرْ شيباً..

الحريةُ هي فيلمٌ عربيٌّ ممنوعْ
لا يُعرضُ إلا على الراشدينْ
والمكفوفينْ..
والمعاقينْ..
ونساءِ المسئولينْ
وأولادِ رجالِ المخابراتْ..

* * *

كيف نقولُ: إننا ديمقراطيونْ
إذا كنا نعتبرُ صوتَ الإنسان عورهْ؟..

* * *

الشاعرُ..
يتمنى أن يكون عصفوراً..
أما العصفورُ..
فيرفضُ أن يكونَ شاعراً
حتى لا تصطاده الأنظمةُ العربيهْ!!

هو شاعرٌ..
لذا يطلبون منه
أن يقدمَ تقريراً عن عددِ أصابعه
كلَّ يومْ..

***

هو شاعرْ..
كلما ظهر في أُمسيةٍ شعريهْ
أطلقوا عليه القنابلْ
المُسيلةَ للأحزانْ..

***

ما حاجةُ الحاكمِ إلى الشعرْ؟..
إذا كان يلبسهُ بقدميهْ..

***

كلما كتبتُ قصيدةً ناجحهْ
بدأ القصفُ المدفعيْ

عليَّ.. وعليها..
إن أكثر ما يُضايقني في الشعرْ
هو معاهداتُ الصلحْ..
واتفاقياتُ الهدنةْ..

❊ ❊ ❊

الانحطاطُ..
لا يعني أن لا تملك سيارهْ..
أو تلفزيوناً..
أو زوجةً جميلهْ..
أو ساعة سويسريهْ..
الانحطاط يعني
أن لا تعرف من هو أبو الطيب المتنبي..
عندما يأخذُ الوطنْ
شكلَ بارودة الصيدْ
تحمل العصافيرُ حقائبَ طفولتِها

وترحلْ..

***

كلما قرأتْ حمامةٌ
تقاريرَ منظمةِ العفوِ الدوليهْ
عن أحوالِ الحمام في السجونِ العربيهْ..
خافتْ على سلالاتِها من الانقراضْ..

***

الشاعرُ..
الذي يقبلُ أن يدخلَ إلى بيت الطاعهْ
يخسرُ بكارتَهُ..
وبكارة الشعر..

***

ماذا يبقَى من الشاعر؟
حين يصيرُ عضواً في (نقابة الشحاذين)؟؟.

***

المتنبي هو أستاذي في الكبرياءْ.
وأنا أحبهْ.
لأن قصائدَه تذكرني بأعناقِ الزُّرافاتْ..

* * *

الشِّعر..
هو السلطةُ الحقيقيةُ في هذا العالمْ.
وحين سيصححُ التاريخُ أخطاءَهْ
سيكتشف:
أن فيرجيل.. أهمُّ من يوليوس قيصرْ.
وبوشكين.. أهمُّ من بطرس الأكبرْ.
وشيكسبير.. أهمُّ من الملكة فيكتوريا.
وبول فاليري.. أهمُّ من نابليون.
والمتنبي.. أهمُّ من سيف الدولة.
ومحمود درويش.. أهم من ياسر عرفاتْ..

* * *

٤

عندي هوايةٌ وحيدهْ
هي أنْ أجلس كل صباحْ
أمام الورقةِ البيضاءْ
أفتحُ ثقوباً هنا.. وهناك..
في قميصِ البحرْ..
بانتظارِ وصولِ السمكْ..

❊ ❊ ❊

سَمَك الشِّعر..
سمكٌ مزاجيٌّ.. وذكيٌّ.. ومُراوغْ..
لا يأتي حينَ ننتظرُهْ.
ولكنه يأتي..
عندما يقررُ أن يأتي..

❊ ❊ ❊

لا أمارسُ العنفَ مع أسماكي..
ولا مع قصائدي..
فاستعمالُ الديناميتْ
لا يُعطينا سوى أسماكٍ ميتهْ..

* * *

السمكةُ الجميلهْ.
والمرأةُ الجميلهْ.
تتشابهان..
فهما لا تدخلان إلى مياهِنا الإقليميهْ.
إلا بالحوارِ الحضاريْ..
والدبلوماسيهْ..
والصبرْ.

* * *

عندما تزوجتُ بلقيس الراوي، وسافرتْ معي من بغداد إلى بيروت عام ١٩٦٩، قالت لصديقاتها وهنّ يودعنها في

المطار: «أنا لم أتزوج زواجاً تقليدّياً.. من رجلٍ تقليدي.. أنا تزوجتُ (هيروشيما)!!.

* * *

لا أعرفُ أن أفعلَ شيئاً
سوى الصعودِ
على السُّلَّم الموسيقيِّ للقصيدهْ
وإلقاءِ نفسي كالمجانينْ
على حريرِ ذراعيْكِ
وسنابلِ شعرِكِ المفتوحْ..

* * *

أوصيكِ بجنوني خيراً..
فهو الذي يمنحُ نهدَكِ شكلَهُ الدائريْ
ويومَ ينحسرُ عنكِ نهرُ جنوني
سيصبحُ نهدُكِ مكعَّباً
مثلَ صندوقِ البريدْ..

أنا منقلبٌ على كلِّ شيءْ..
حتى على لونِ عينيَّ..
وفصيلةِ دمي..

* * *

لا أعترفُ بقصيدةٍ لي..
لا تفتحُ ثُقْباً
في غلافِ الأوزونْ..

* * *

لا قيمةَ لشاعرْ..
لا يُحْدثُ شَغباً في داخلِ اللغهْ..

* * *

أكتبُ الشِّعر..
حتى لا أذهبَ إلى عيادةِ الطبيبِ النفسي..

* * *

إنني شاعرٌ تصادميْ..

إذا لم أجدْ من أتخانقُ معه،
تخانقتَ مع ورقةِ الكتابةْ..

* * *

القصيدةُ..
ليستْ جهازاً لتكييف الهواءْ..
ولكنها السكنى فوق خط الاستواءْ..

* * *

خلال خمسين عاماً..
كتبتُ ألوفَ القصائدِ الانتحاريهْ
ولم أفكرْ أن أُؤَمِّن على أصابعي
لدى أيةِ شركةِ تأمينْ..

* * *

القصيدةُ..
ليست مقعداً من القطيفهْ..
نتمددُ عليه على شاطئِ البحرْ

ولكنها كرسيٌّ كهربائيْ..
يحولُنا في لحظةٍ
إلى كومةٍ من رمادْ..

❊ ❊ ❊

الحزنُ هو ليلُ هذا العالَمْ
ومن تحتِ عباءةِ هذا الليل
خرجتْ أهمُّ قصائدي
وخرجْتُ أنا..

❊ ❊ ❊

أُراقبُ الحزنَ وهو يتجولُ في زوايا غرفتي
يجلسُ على مكتبي..
ويضعُ الأزهارَ الصفراءَ في مزهريتي
ويتمددُ على فراشي..
ويصنعُ لي قهوتي الصَّباحيةْ..
فهل أصبحَ الحزنُ زوجتي؟

يختارُ الحزنُ ألوانَ ثيابي
وأثاثَ منزلي.
وقماشَ ستائري.
وعناوينَ كُتبي
ويبدي رأيَه في كلِّ قصيدةٍ أكتُبها..
وفي كلِّ امرأةٍ أحبُّها..

* * *

الحزنُ وحدَهْ..
هو الذي يطَّلِعُ على قصائدي قبلَ نشرِها

* * *

لا تقلقي يوماً عليَّ.. إذا حزنتُ
فإنني رجلُ الشتاءْ..
إن كنتُ مكسوراً.. ومُكتئباً..
ومطويًّا على نفسي..
فإن الحزنَ يخترعُ النساءْ..

ضوء العشق

٥

إرمي هذه العطورَ الفرنسيهْ
التي تملأُ جواريرَكِ
إن غريزتي البدويهْ
لا تزال تبحثُ تحت شعرِكْ
عن عَرارِ نجدْ..
وثمارِ الكَمْأَةِ السمراءْ
ورائحةِ البنِّ المطحونِ مع الهالْ..

❊ ❊ ❊

كلما رأيتُ امرأةً حافيهْ
أتصور أن الريحَ خلعتْ حذاءَها

❊ ❊ ❊

لا أحدَ قرأ فنجاني
إلا وعرفَ أنك حبيبتي

لا أحَد درسَ خطوطَ يدي
إلا واكتشفَ حروفَ اسمِكِ الأربعهْ..

❊ ❊ ❊

كلُّ شيءٍ يمكن تكذيبُه
إلا رائحةَ امرأةٍ نحبُّها..
كل شيءٍ يمكنُ إخفاؤهْ
إلا خطوات امرأةٍ تتحرَّك في داخلِنا..

❊ ❊ ❊

كلُّ القضايا يمكنُ الجدلُ فيها
إلا قضيةَ أنوثتِكْ..

❊ ❊ ❊

الزوجةُ نصٌّ كتبناهْ..
والحبيبة نَصٌّ لم نكتبهْ بعدْ..

❊ ❊ ❊

الزوجةَ مؤسسةٌ حكوميهْ..

والحبيبةُ حزبٌ محظور..

❊ ❊ ❊

الزوجةَ معادلةٌ حسابيةٌ حللناها..
والحبيبةَ معادلةٌ شِعريةٌ لا حلَّ لها!!

❊ ❊ ❊

أين أُخفيكِ يا حبيبتي؟
نحنُ غابتان مشتعلتان
وكلُّ كاميراتِ التلفزيون مسلَّطةٌ علينا..
أين أخبئك يا حبيبتي..
وكلُّ الصحافيين يريدون أن يجعلوا منكِ نجمةَ الغلافْ..
ويجعلوا مني بطلاً إغريقيًّا..
وفضيحةً مكتوبهْ..

❊ ❊ ❊

ارفعي يديْك عن عاداتي الصغيرهْ..
عن القلم الذي أكتبُ به..

والأوراق التي أُخربشُ عليها..
فليس من المعقولِ أن أكتبَ بأصابعِكْ..
وأتنفسَ برئتيْكِ..
ليس من المعقولِ أن أضحَك بشفتيكِ..
وأن تبكي أنتِ بعيوني!!

* * *

يتباهى نهدَ المرأةُ على سائرِ أعضائها
كما تتباهى الدولُ العظمى
على دولِ العالمِ الثالثْ!!

* * *

أعدْ عليَّ دائماً..
بأنني الحبيبةُ المفضَّلهْ..
والوردة المفضلهْ..
والنجمة المفضلهْ..
إن كان هذا ما تُريدينَ.. فبيعيني أنا.

وضاجعي مُسَجِّلَهْ..

* * *

قبل أن تُصبحي حبيبتي
كان هناك أكثرُ من تقويمٍ لحسابِ الزمنْ.
كان للهنودِ تقويمُهمْ.. وللصينيين تقويمُهمْ
وللفرس تقويمُهم.. وللمصريين تقويمُهمْ..
بعد أن صِرتِ حبيبتي
صار الناسُ يقولون:
السنةُ الألفُ قبلَ عينيها..
والقرنُ العاشرُ بعدَ عينيها..

* * *

أنا لا أفكرُ أن أقاومْ..
أو أثورَ على هواك..
فأنا.. وكلُّ قصائدي
من بعضِ ما صَنعتْ يداك..

إني مُحاطٌ بالنساءِ..
ولا أرى أحدًا سواكِ..

* * *

لم يعُدْ بوسعي أن أحبَّكِ أكثرْ..
صارت شفتاي لا تكفيان لتغطيةِ شفتيكِ..
وذراعاي لا تكفيان لتطويقِ خصركْ..
وصارت الكلماتُ التي أعرفُها.. أقلَّ بكثيرٍ من عددِ الشامات التي تطرزُ جسدَك..

* * *

كلما اتهموني بحبِّك.. أشعرُ بتفوقي
وأعقدُ مؤتمراً صحفيًّا..
أوزعُ فيه صورَك على الصحافهْ
وأظهرُ على شاشةِ التلفزيونْ..
وأنا أضعُ في عُروةِ ثوبي
وردةَ الفضيحهْ..

تدخل فاطمةُ عليّ..
ملتفةً بزوبعةٍ من شعرِها الأسودْ..
تضعُ مجلاتِها النسائيةِ على مكتبي،
وثوبُ نومِها في خزانتي..
وملاقطُ شعرِها في جواريري..
وفرشاةُ أسنانها..
قربَ فرشاةِ أسناني..
فأدركُ أنها قررتْ احتلالي..

* * *

يا فاطمهْ..
أيتها العربيةُ الداخلةُ كالخنجرِ في صباحاتِ باريس..
أيتها العصفورةُ القادمةُ من المياهِ الدافئهْ
لتغتسلَ بأمطار فِرْساي
وأمطار حنيني.
أيتها الحمامةُ التي تتهجّى كلماتَ الحب..

باللغةِ الفرنسيهْ..
وتتهجاني بكل لغاتِ الأنوثهْ..

* * *

يا فاطمةُ ساحةِ (الكونكوردْ)..
يا فاطمةُ الفاطماتْ.
أيتها النخلةُ التي تُهرهرُ الكحلَ والأغنياتْ..
أيتها اللغةُ التي ألغتْ جميعَ اللغاتْ..
لم يكن في حسابي
أن أدخلَ إلى باريس بجوازِ سفرٍ عربيْ
وأخرجَ منها، رئيساً للجمهوريةِ الخامسهْ..

* * *

ضوء الشعر الأسود

٦

قررتُ أن أذهبَ معكِ
إلى آخرِ نقطةٍ في العالمْ

وآخرِ نقطةٍ من دمي..
فلحمي أكلتْه الأسماكُ بين بيروتَ ولارنكا
ووطني نشلُوُهُ من جيبي
قبل أن أصعدَ إلى ظهرِ السفينهْ..
وتذكرةُ هويتي.. عليها صورة رجل آخر.
كان يشبهني قبلَ خمسين عاماً..
ماذا تنتظرين كي تفتحي قلوعَ شعرِك الأسود؟
إن رائحةَ المِلحِ والتوتياء في الميناء
تخترقني كسيفٍ معدني
فلماذا لا تفتحينَ واحداً من شرايينكِ لإيوائي
أنا الذي فتحتُ جميعَ شراييني..
لاستقبالكْ..

***

لماذا تُحبينني يا امرأهْ؟
أنا الرجلُ العصبيُّ المزاجْ

وأنتِ الرقيقةُ مثلَ الحمامهْ
وفي شفتيكِ بداياتُ صيفٍ
وفي شفتيَّ بداياتُ يومِ القيامهْ..

❊ ❊ ❊

لماذا تُحبيني يا امرأهْ.؟
لماذا تركتِ جميعَ الرجالِ.. وجئتِ إليّا؟
لماذا وضعتِ مصيرَك بين يديا؟
أنا رجلٌ لا مكانَ له في جميعِ الخرائطْ..
فلا أتذكرُ أينَ وُلدتُ..
ولا أتذكر أين أموتُ..
ولا أتذكر أين سأُبعثُ حيًّا..

❊ ❊ ❊

أتصور أنكِ أولُ أنثى..
ظهرتْ منذُ ملايين الأعوامْ..
وبأني أولُ رجلٍ عشقَ امرأهْ

منذ ملايين الأعوامْ..
أتصور أني كنتُ أحبُّك.. قبلَ وجودِ الحب..
وأكتب شعراً.. قبلَ وجودِ الشِّعر..
وقبلَ فتوحِ الشام.
وعقدتُ عليكِ، وأنجبنا
أولاداً في لونِ الأحلام
وقصائدَ شِعرٍ.. ونجوما
وقبيلةَ غُزلانٍ وحمامْ..

* * *

يتهيأ لي.. أني قابلتُكِ
قبلَ العصرِ الكنعاني..
وقبلَ العصرِ الكلداني..
وقبلَ العصرِ اليوناني..
وقبلَ العصرِ الفينيقي..
وقبلَ حدودِ الوقتِ، وتسميةِ الأيامْ

أتصورَ أنك كنتِ امرأتي
قبلَ ملايين الأعوامْ..

* * *

ثَقِّفيني.. ثقفيني
فأنا من قبل أن أقرأَ في وجهِكِ
لم أقرأْ كتاباً..
وأنا من قبل أن أكتشفَ الحنطةَ في جسمكِ
كانتْ هذه الدنيا خرابا..

* * *

وما زال جسمُكِ في الأربعينْ
فتيًّا.. شهيًّا.. نقياً..
نقاءَ اللبنْ..
وما زال نهداك مثلَ حصانيْ سباقٍ
يطيران ضدَّ مرورِ الزمنْ..

* * *

أدخلوني في سبيلِ العشقِ مستشفى المجاذيب..
وحتى الآنَ- سيدتي- ما أطلقوني
شنقوني، في سبيلِ الشِّعر.. مراتٍ.. ومراتٍ
ويبدو أنهم مَا قتلوني..
حاولوا أن يقلعوا الثورة من قلبي وأوراقي..
ويبدو أنهم في داخلِ الثورة.. يا سيدتي
قد زرعوني..

***

مشكلتي مع النقدْ..
أنني كلما كتبتُ قصيدةً باللونِ الأسودْ
قالوا: إنني نقلتُها عن عينيْكِ..

***

ومشكلتي مع النساءْ
أنني كلما نفيتُ علاقتي بكِ
سَمِعْنَ خَشْخشات أساورِكِ

في ذبذباتِ صوتي..

ورأينَ قميصَ نومِكِ

معلقاً في خزانةِ ذاكرتي..

❊ ❊ ❊

إذا كنتِ تعرفين رجلاً..

يحبُّك أكثرَ مني..

فدُلِّيني عليهْ

لأُهَنِّئَهُ..

وأقتلهُ بعدَ ذلكْ..

❊ ❊ ❊

أريدُ أن أحبَّك..

حتى تنتصرَ القصيدةُ

على المسدسِ الكاتمِ للصوتْ..

وينتصرَ التلاميذُ

على الغازاتِ المسيِّلةِ للدموعْ

وتنتصرَ الوردةُ
علَى هراوةِ رجلِ البوليسْ..
وتنتصر المكتباتُ..
على مصانعِ الأسلحة!!.

***

أريدُ أن أحبَّك..
قبل أن يصدرَ مرسومٌ فاشيستيْ
بإقفالِ حدائقِ الحُب..
وأريدُ أن أتناولَ معك فنجاناً من القهوةْ..
قبل أن يُصادروا البنَّ.. والفناجينْ..
وأريدُ أن أعانقَكِ..
قبل أن يلقوا القبضَ على فمي.. وذراعَيْ
وأريد أن أبكي على صدرِكْ
قبل أن يفرضوا ضريبةً جمركية..
على دُموعي..

في عصر أدبِ الأنابيبْ..
والأدباءِ الذين تربيهم السلطةُ في الأنابيبْ..
في عصرِ تأجير الأرحامْ..
وتأجيرِ الأقلامْ..
أشعرُ بحاجةٍ، يا حبيبتي
أن أقرأَ لكِ آخر قصيدةَ حبٍّ كتبتُها..
قبل أن تُصبحي آخرَ النساءْ..
وأصبحُ أنا..
آخرَ حيوانٍ يقرضُ الشعرْ..

* * *

ضوء الأجساد

٧

الجسدُ الأنثوي لغةْ.
وأكثرُ الرجالْ
لم يقرأوا في حياتِهم كتاباً..

جسدُ المرأةِ بيانو.
وأكثرُ الرجال
يجهلون مبادئَ الموسيقى..

* * *

جسدُ المرأةِ شُرْفةٌ على القمرْ.
وجسدُ الرجلِ مقهى رصيفْ.

* * *

جسدُ المرأةِ محطهْ.
وجسدُ الرجل
قطارٌ ليليٌّ سريعْ..

* * *

جسدُ الرجل.
يحمل جوازَ سفرٍ دبلوماسيًّا
وجسدَ المرأةِ يحملُ تذكرةَ مرورْ
صالحةً لسفرةٍ واحدةٍ.. فقطْ..

لا يوجدُ تكافؤٌ على فراشِ الحُب
فالمرأةُ تريد أن تحتفظَ بشَعْرة معاويهْ
والرجلُ يقطعها..

❊ ❊ ❊

الجنسُ لدى المرأةِ استيطانْ.
ولدى الرجلِ سفرْ..

❊ ❊ ❊

المرأةُ التي تقول:
إن بقاءَها مع رجلٍ يسلخُ جلدَها كل يومْ
هو قسمةٌ ونصيبْ..
لا فرقَ بينَها.. وبين النعجهْ..

❊ ❊ ❊

المرأةُ.. جعلتْ من جسدِها
سجادةً كاشانيهْ.
والرجل من هُوَاة جمع السجادْ..

المرأةُ.. والقطةْ..
لهما قضيةٌ واحدهْ..
لا تُحَلُّ إلا باستعمالِ الأظافرْ..

* * *

كيف أستطيعَ تحريرَ امرأةْ؟
تتكحلُ بعبوديتِها..
وتعتبرُ قيودَها، أساورَ من ذهبْ..
تُخشخشُ في معصمَيْها..

* * *

كيف أستطيعُ تحريرَ امرأهْ؟
تقف بالطابورِ أمامَ حجرة شهريارْ..
حتى يأتيَ دورُها..

* * *

ثورات على الورق

المرأةُ العربيهْ
تريد من يمضغ عنها لقمةَ الحريهْ..
ويبلعُها..
لذلك فهي مصابةٌ بفقرِ الشجاعهْ..
وفقر الدمْ..

* * *

تخاف المرأةُ من الحريهْ
كما تخافُ القطةُ المنزليةَ من مغادرةِ منزلٍ كانت تتناول فيه وجباتِ الطعامِ.. مجاناً..

* * *

ثَمَّةَ نساءٌ..
يعتبرنَ بيتَ الطاعة مريحاً
كفندقِ (دورشسْتِرْ)!!.

* * *

المرأةُ تتزوجُ الغولْ..
بعد أن تستشيرَ النجومَ والأبراجْ
وفناجينَ القهوهْ..
وبعدَ أن يأكلَها الغولْ
تخرجُ من بينِ أضراسهْ..
لتتزوجَه مرةً ثانيهْ..

* * *

المرأةُ التي تتعايشُ مع رجلٍ تكرههْ
تشبهُ السمكهْ..
التي تتعايشُ مع صنارةِ الصيدْ..

* * *

حريمُ الرجلِ العربيْ
يشبه (الهولوكوست) النازيْ
له بابُ دخولٍ.. وليس له بابُ خروج..

* * *

الرجلُ العربيْ
يمضغَ الطعامَ بسرعهْ..
ويمضغَ النساءَ بسرعهْ..
لذلك.. فهو مصابٌ بقُرحتين..

* * *

الرجلُ نظامٌ استعماريٌّ قديمْ
ولكن بعض النساء..
يتعاملنَ مع جيشِ الاحتلالْ
ويستقبلنَه عندما يدخُلُ المدينهْ
بالوردِ.. والزغاريدْ..
ويُطلقنَ فوقَ موكبِه الحمامَ الأبيضْ..

* * *

المرأةُ تكتفي بعصفورٍ واحدْ..
والرجلُ مقاولُ نساءْ..

* * *

أثرياءُ الحربِ في بلادِنا
يوقعون على عقودِ زواجهمْ
كما يوقعون على عقدٍ
لشراءِ صفقةِ أغنامْ..

* * *

يشتهي الرجلَ المرأهْ..
فينفُخُ لها بالبوقْ..
وتشتهي المرأةُ الرجلْ..
فتأكل قُطْنَ المخدة..

* * *

الجنسُ قصيدةٌ من قصائدِ الجسد..
حولناها إلى نثرٍ رديءْ..

* * *

إنها تمطرُ نساءً..
يهبُّ العربُ من مضاجعهمْ

بدَشْداشاتِهم البيضاءْ
وعيونِهم الحمراءْ..
للمشاركةِ في حفلةِ الصيدْ
هذا يحملُ بندقية ٩ مليمتر
وهذا يحملُ فأساً.. وبلطهْ..
وهذا يحملُ سكينَ مطبخ..
وهذا يحملُ قفصاً لاعتقالِ العصافيرْ..
وهذا يُشعل الفحمَ في منقل (الباربكيو)..
وهكذا يذهبُ العربُ إلى مواعيدِهم الغراميهْ
وهم مسلحون حتى أسنانهِمْ..

❋ ❋ ❋

ضوء الحضارة

٨

أريدُ أن أحبَّ.. حتى أجعَلَ العالَمَ برتقالهْ..
والشمسَ قنديلاً من النحاسْ..

أريدُ أن أحب..

حتى أُلغيَ الشرطةَ.. والحدودَ.. والأعلامَ.. والألوان.. والأجناس..

أريدُ أن أستلمَ السلطةَ يا سيدتي

ولو ليومٍ واحد..

من أجلِ أن أقيمَ (جمهورية الإحساسْ)..

❊ ❊ ❊

أريد أن أختصرَ النساءَ في واحدةٍ..

بحيثُ لا يبقى على الأرضِ سوى

حضارةِ الأحرفِ.. أو حضارةِ الأزهارْ..

❊ ❊ ❊

سيأتي نهارٌ.. أشيلُ ثيابَ البداوةِ عني

لكي أتعلمَ من ياسمين يديكِ..

أصولَ الحوار..

❊ ❊ ❊

سيأتي نهارٌ.. سأتركُ فيه عُصُورَ انحطاطي
وأكتبُ فيه كلاماً جميلاً
به أتخطى حدودَ اللغات..
وأكسرُ فيه زجاجَ الكلامْ..

* * *

كلامُ يديك الحضَاريتين..
كلامٌ طويلٌ.. طويلْ..
فهل تسمحين لعيني بتسجيلِ هذا الكلام الجميلْ؟

* * *

دعيني أبوسُ مرايا يديْكِ..
وآخذُ شيئاً من الزادِ قبلَ الرحيلْ..
دعيني أنامُ على درجاتِ البيانو..
فلم يبقَ من فسحةِ العمرِ إلا القليلُ.. القليلْ..

* * *

أريد التقاطَ رسومٍ لشكلِ يديْكِ..

لصوتِ يديْكِ..
فهل تَجلسين أمامي قليلا..
لكي أرسمَ المستحيلَ؟؟

❋ ❋ ❋

أريدُ أن تأخذِي شكلَ فمي
حتى إذا تكلمتُ..
وجدك الناسُ تستحمينَ في صوتي..
أريدك أن تأخذي شكلَ يدي
حتى إذا وضعتُها على الطاولةْ
وجدك الناسُ نائمةً في جوفِها..

❋ ❋ ❋

رسمتُ حولَ خصرِك.. زيحاً بقلمِ الرصاصْ..
حتى لا يخطرَ بباله أن يصبحَ فراشةً..
ويطيرْ..

❋ ❋ ❋

كلُّ الآثارِ.. قابلةٌ للمَحْو..
إلا آثار أقدامِ امرأةٍ على دفاتري..

* * *

فاطمهْ..
هي أهمُّ امرأة بينَ نساء العالمْ
ليس لأنها جميلهْ..
ولكن.. لأنني أحبُّها..

* * *

كلَّ الأساورِ صغيرةٌ على يديكِ..
إلا أساورَ حناني..

* * *

قولي «أحبُّكَ» كي تزيد وسامتي
فبغير حبّك.. لا أكونُ جميلا..

* * *

امنحيني الفرصةَ..

لأبحثَ عن عناوين النساءِ اللواتي..
تركتُهُنَّ من أجلِكْ..
وقتلتهُن من أجلِكْ..
فأنا أريدُ أن أعيشْ..

❊ ❊ ❊

أُريدَ أن أسْتَبْقيكِ في جسدي
طفلاً مستحيلَ الولادهْ..
وطعنةً سريةً لا يشعرُ بها أحدٌ غيري..

❊ ❊ ❊

لماذا كسرتِ زجاجةَ الحبرِ الأخضرْ
الذي كنتُ أرسُمك به..
وصرت امرأةً بالأبيضِ والأسود؟..

❊ ❊ ❊

خليكِ بدائية كما أنتِ..
خليكِ مزاجية كما أنتِ..

خليكِ هجوميةً كما أنتِ..
ماذا يبقى من أفريقيا؟
إذا أخذنا منها نُمورَها، وطبولَها، وبهاراتها
ماذا يبقى من جزيرة العرب؟
إذا أخذنا منها نارَ النبوهْ..
ومجدَ الصهيلْ؟؟

❊ ❊ ❊

أشهد أن لا امرأةً..
قد جعلتْ طفولتي
تمتدُّ للخمسين إلا أنتِ..

❊ ❊ ❊

ما لونُ عينيكِ؟ إني لستُ أذكرهُ.
كأنني قبلُ لم أعرفْهما أبداً..
إني لأبحثُ في عينيك عن قدري
وعن وجودي.. ولكنْ لا أرى أحداً..

حاذري أن تقعي بين يدياً..
إن سُمِّي كلَّه في شَفَتَيا..
حاذري أن ترفعي السَّوْطَ.. ألمْ
تركبي قبلَ حصاناً عربيًّا..
نخزَةٌ منكِ على خاصرتي
تجعل الحقدَ بصدري بربريًّا..
أنا شمشونُ.. إذا أوجعتِني
قلتُ: يا ربي.. عليها وعليًّا..

* * *

هل سأبقى ذاهلاً..
في حضرة النهدِ ذهولَ البدويّ؟
إنني آمنتُ يا سيدتي..
أن شكلَ الأرض، شكلٌ كرويّ..

* * *

أنا مع العشقِ.. حتى حينَ يقتُلُني

إذا تخليتُ عن عشقي.. فلستُ أنا..

* * *

شتفاك.. تشتعلان مثل فضحيةٍ

والناهدان.. بحالة استنفار..

وعلاقتي بهما.. تظل حميمةً

كعلاقة الثوار بالثوار..

* * *

لأن حُبِّي لك فوقَ مستوى الكلامْ

قررتُ أن أسكُتَ..

والسلامْ..

* * *

ضوء المنفى

٩

لا فضل لعربي على عربي

إلا بالبلوى..

فمساحةُ زنزاناتنا واحدةْ..
وموسيقى جنائزنا واحدةْ..
وتفاصيل موتنا واحدةْ..

* * *

في المطارات الأوروبيةْ
لا يتحاج العربي إلى تقديم جواز سفرهْ.
يكفيه أن يقدم صورة بالأبيض والأسودْ..
لوجهه الممطوطْ..
وعينيه الجاحظتينْ..
وذقنه التي لم تُحْلقْ
منذ اختراع شفرات (جيليتْ)..
حتى يعرفوه..

* * *

تعبيرُ الخليج الثائرْ
والمحيط الهادرْ..

تعبيران عجوزانْ
ماتا بالسكتة القلبيةْ..

* * *

كلما أردتُ أن أستريحَ
على سجادةِ العروبهْ
سحبوها من تحتي..

* * *

كلما حاولتُ أن أرضعَ من ثديْ العروبهْ..
اجتمع الحكماءُ العرب..
وقرروا فِطامي..

* * *

كلما انحنيتُ لأشربَ من نهرِ العروبهْ
وجدتُهُ مسمَّماً (بالديتولْ)..

* * *

كلما دخلتُ إلى مكتبهْ

لأشتريَ كتابْ:
(المفاتيح السحرية.. للفتوح العربيةْ)
وجدتُهُ مزوراً..

* * *

قبل حرب الخليجْ
كنا نلبس ثوباً وحذْودياً مرقّعاً..
بعدَ حربِ الخليج
رجعنا عراةً كما خَلقنا الله..

* * *

أنا لا أعتبرُ المنفى عملاً تراجيدياً
بل أعتبرهُ مسرحاً تجريبياً
يحررني من ديكتاتوريةِ النص..
ورتابة السيناريو..
وغرابة مَلابسي الفولكلوريةْ..

* * *

الشعرُ العربيُّ العظيمْ
كان دائماً شعراً مهاجراً.. أو مهجَّراً..
ولم يكن شعراً مقيماً.
والإبداعُ العربيُّ الأصيلْ
لم يحدثْ في رحمِ الوطنْ..
وإنما حدثَ خارجَهْ..

❊ ❊ ❊

إن قائمةَ المنفيين من الشعراءِ العربْ
طويلةٌ جدّاً..
ابتداءً من نقيب المنفيين أبي الطيب المتنبي
حتى أدونيس.. ومحمود درويش.. وسعدي يوسف.. ومظفر النواب..

❊ ❊ ❊

ليس ضروريّاً أن نعيش في فندقِ الوطنْ
حتى نكتبَ عنه شعراً جميلاً..

الوطنُ هو تشكيلٌ ذهنيْ
وعلاقةُ عشقٍ سريهْ
يمكن أن تحدث..
في أي فندقٍ في العالم..

❊ ❊ ❊

الالتصاقُ الطويلُ بالوطنْ..
كالالتصاقِ الطويلِ بالمرأهْ..
هو كارثةٌ للشعرْ..

❊ ❊ ❊

المنفى في كُحْلِ عينيكِ السوداوَينْ
هو التعويضُ العادلْ
لتأسيسِ وطنٍ بديلْ..

❊ ❊ ❊

كلُّ يومٍ يهربُ الوطنُ من الوطنْ
حتى صارَ لعرب (الديسابُورا)

دولةٌ. ولغةٌ. ونشيدٌ رسميْ
وأصبح بإمكانِهمْ
أن يحصلوا على مقعدٍ دائمْ
في هيئةِ الأمم المتحدهْ..

* * *

هل في مقاهي لندن؟
طاولةٌ منفردةٌ.. وقهوةٌ جيدةٌ..
تغسلُ عن قلبي التعبْ.
أبحثُ في الصباحِ عن جريدةٍ..
صينيةٍ.. كوريةٍ.. هنديهْ..
أرتاح فيها من فصاحاتِ العربْ..
وعنترياتِ العربْ..

* * *

تغيرتْ خرائطُ النساءِ في دفاتري.
تغيرت قرطبةٌ.

تغيرت غرناطةٌ.

فلا نساءَ الشامِ يبتسمنَ لي..

ولا جميلاتُ حلبْ..

إذا تغزلتُ بحسنِ امرأةٍ

تأكلني الأسماكُ في بحرِ العربْ!!

* * *

ضوء الكبرياء

١٠

ليس لي قبيلةٌ تَدَّعي أنني ابنُها..

وليس هناك شيخُ قبيلةٍ..

أعطاني يدَه لتقبيلَها..

ولم أعضَّها..

وليس لي أمٌّ نزلتُ من بطنها

بعدَ تسعةِ أشهرْ..

فأنا نزلتُ من بطنِ الحزنْ..

بعد حَمْلٍ استمرَّ تسعةَ ملايين عامْ..
وأخيراً..
ليس لي اسمٌ نهائي مكتوبٌ على تذكرةِ هويتي..
فالحرية تُعطيني كلَّ يومٍ اسماً جديداً..
والريحُ هي التي تخترعُ عناويني!!..

❊ ❊ ❊

«أنا لستُ مهتماً بأصلِ قبيلتي
ورائي نزارٌ.. أم ورائي تغلبُ..
فليستْ بلادي بَيْرَقاً.. أو خريطةً..
ولكن بلادي.. حيثُ أستطيع أكتبُ!!»

❊ ❊ ❊

ليس عندي قصائدُ سرية أحتفظُ بها في جواريري.
إن القصيدةَ التي لا أنشُرها هي زائدةٌ شعرية..
مهددةٌ بالانفجارِ كلَّ لحظة..

❊ ❊ ❊

الشعرُ هو الجنونُ الوحيدُ المسموحُ به في بلادنا
لذا فهم يتركونَ الشاعرَ فالتاً فوقَ أوراقِه..
يخرمشُ حيناً وجوه النساءْ..
وحيناً على عباءةِ أميرِ المؤمنينْ..

***

إنني من زمانٍ بعيدْ..
مستقيلٌ من وظيفة إحياء الأفراحْ..
ففي هذا الزمن العربيِّ الذي لا وصفَ له..
لم يعد أمامي خياراتٌ كثيرة..
فإما أن أكون حمامةً تسكنُ في قبةِ مسجدْ..
وإما أن أكونَ خنجراً في لحمِ عصورِ الانحطاطْ..
ولقد اخترتُ أن أكونَ خنجراً..

***

أجملُ ما فعلتُهْ..
هو أنني ألغيتُ فاكهةَ الشعرِ.. من حياةِ الناس.

وأطعمتهُمْ حنطةَ الشعرْ..

* * *

إن العالمَ كلَّه، هو ضدُّ طفولة الشاعرْ.

لماذا؟

لأن شيخوخةَ الدولةِ، لا تستطيع استيعابَ أحلامِ الشاعر، ومراهقتِه، وبالوناته الملونَّة، ومفرقعاته الخطيرة..

الأطفال، دائماً مضطهَدون في المجتمعاتِ الهرمة، المقوسة الظهرِ، المرتجفة الأصابعْ..

طفولةُ الشاعرِ ممنوعة في بلادنا..

وعلى الشاعر أن ينزلَ من بطنِ أمه، وعلى رأسه عمامةُ أبي العلاءِ المعَري..

* * *

يوجعني أن أقولَ إن تسعين بالمئة من قصائدنا العربية، قضتْ نصفَ عمرها في (بيتِ الطاعة) تكنسُ الأرضَ.. وتمسحُها.. وتغسلُ ثيابَ الأنظمةِ.. وتكويها.. حتى أصيبتْ

بشللِ الأطفال.. وبانحناءٍ مزمنٍ في عمودِها الفقَري، من كثرةِ الركوعِ والسجود!!

* * *

النقادَ عندنا، مثلُ الكيموناتِ الكبيرةِ تُفْرِغُ بضائِعَها في منتصف الشارع.. حتى يتعرقل سيرُ القصائدْ..
وتُكْسَر أعناقُ الشعراء..

* * *

على القصيدةِ العربية الآن أن تركبَ طائرة الكونكورد..
لأن ظهرَ الناقة لا يوصلُ إلى أي مكانْ..

* * *

الجمهوريةُ هي حريتي، وليس معتقلي.
هو قوتي، وليس ضعفي..
هو حبيبي.. وليس سيدي..

* * *

أنا لم أجدْ جمهوري جاهزاً.

ولم أشترْه من السوبر ماركتْ..
ولكنني ربيتُهُ خلالَ خمسين عاماً..
شبراً شبراً.. قبلةً قبلةً.. دمعةً دمعةْ..
حتى صار يشبهني أكثرَ من صورتي..

❊ ❊ ❊

يشرفني أن أكونَ شاعراً (شعبيًّا)..
هل يختجلُ الجسدُ من الثوبِ الذي يغطيه؟..

❊ ❊ ❊

إنني أفضلُ ألفَ مرة.. أن أكون (مارادونا) الشعر..
على أن أكونَ عضواً في مجمع اللغة العربية..

❊ ❊ ❊

إن النخبةَ تحدد لي..
والجماهيرَ تنثرني مطراً على كلِّ القارات..
فهل من المعقولِ أن أترك البحر..
وأسافر في قطرة ماء؟؟؟..

في إحدى الأمسياتِ الشعريةِ التي قدمتُها في لندن..
جمعتُ المعذَّبين في الأرضِ حول قصائدي..
وأوقدتُ لهم ناراً..
وصنعتُ لهم قهوةً عدنيةً طيبة..
وأنمتُهُمْ على ركبتي..
وغطيتُهم بأغطيةِ الصوف..
حتى لا يؤذيَهم بردُ لندن!!.

❊ ❊ ❊

خمسين عاماً.. ركضتُ وراءَ جمهوري..
حتى ألقيتُ القبضَ عليه..
كما يقبضُ طفلٌ على بنفسجة!!.

❊ ❊ ❊

الجمهورُ العربيُّ أصبح وحشاً سياسياً
لا يقفُ في وجهِ شهيته شيء..
فإذا لم تُطعمْهُ قصيدةً سياسيةً..

أكلك!!

* * *

ثمة قصائدُ تتشكلُ في رحمِ السُّلطةْ..
وثمة قصائدُ تتشكلُ في رحم الحريةْ..
فلا يسجلونها في سجلِ المواليدْ..
ولا يقدمون لها زجاجةَ حليبْ..
ولا يعطونها قرصَ بانادول إذا ارتفعتْ حرارتُها..
هذه القصائد تعتبرُها السلطةُ لقيطةً.. أو بنتَ زنَا..
بينما هي أحلى البناتْ.. وأذكاهُنَّ.. وأشرفهنّ..

* * *

في الأمسياتِ الشعريةِ التي قدمتُها في الولاياتِ المتحدة.. وكندا.. وبريطانيا، وبلجيكا، وفرنسا، وألمانيا..

كان العربُ المهاجرون يقبضون على الكلماتْ.. كأنهم يقبضون على حفنةٍ من ترابِ بلادهم..

* * *

يمكنُك بكلِّ سهولة أن تعتقلَ إنساناً..
ولكن من المستحيل أن تعتقلَ حلماً!!

* * *

القصيدةُ السياسية..
هي آخرُ علاجٍ في يدينا لإنقاذِ الشارعِ العربي..
من حالةِ الشللِ النصفي.. وفقدانِ المناعةْ..
والذبحْة القومية!!

* * *

إن الشعبَ ليس نصًّا مقدساً لا يمكن نقدُه أو المساسُ به. ولكنْ أرضٌ مفتوحةٌ يمكن أن نزرَع في أحشائِها ما نريد من بروقٍ.. ورُعُودٍ.. ومتفجراتْ..

* * *

هل سمعتَ عن وردةٍ انخرطتْ في ميلشيا؟..
أو عن قمرٍ يلبس الثيابَ المرقَّطةْ؟
ليست وظيفةَ الشعر أن يدخلَ في تنظيمٍ مسلحْ..

وظيفةُ الشعر هي أن يدخلَ في حزب الياسمينْ..

***

في هذا الزمن العربيِّ الذي لا يسمَّى..
وُلِدَ جنسٌ أدبيٌّ جديدٌ يمكن أن نطلقَ عليه اسم (الحب السياسي)..

فالمرأةُ العربيةُ في زمن القنوطِ والانكسارِ والهزائم القومية، لم تعد قمراً كما كانت في أدبِ المنفلوطي.. وإنما تحولت في قنبلةٍ موقوتة..

وفمها.. لم يعد وردةً.. أو حبةَ فراولةْ.. وإنما تحولَ إلى منشورٍ سياسي..

ونهدها.. لم يعدْ شجرةَ ياسمين.. وإنما تحولَ إلى سيارةٍ مفخخة..

***

إن الكتابةَ عن جسدِ المرأةِ ليست فضيحة.. ولكن الكتابة عن وجه الخليفة الذي يشبه ليلةَ القدر.. وعن قامتِه

التي تشبه قامةَ السيف.. وعن كرمِه الذي يشبه كرمَ السحاب.. وعن نوره الذي يحجبُ نورَ الشمس.. وعن ديمقراطيته التي تتساقط كالأمطارِ على رؤوسِ المواطنين..
هي فضيحة الفضائحْ..

* * *

ضوء التوحيد

١١

المرأةُ التي أحبُّها..
تصبحُ جميعَ نساء العالمْ..
هذه هي معجزةُ العشقِ التي لا معجزةَ أكبرَ منها..
العشقُ يعجنُ كلَّ نساء الدنيا
في امرأةٍ واحدةْ!!

* * *

إن امتلاكَ نساءِ الأرض جميعاً..
لا يعني أنك أصبحتَ غنيًّا.. أو قويًّا..

أو سلطانَ زمانِكْ..
أنا- على العكس- أعتقدُ أن الذي يُعبد إلهاً واحداً..
عليه أن يُحِبَّ امرأةً واحدةْ!!

* * *

أشكوك للسماءْ.
أشكوك للسماءْ.
كيف استطعْتِ؟ كيف؟ أن تختصري
جميع ما في الأرض من نساء؟؟.

* * *

إنني أعتبر العالمَ كلَّه.. أُنثى..
بما في ذلك الرجل!!
حاولتُ أسألُ ما الأنوثةُ؟
ثم عدتُ عن السؤالْ..
فأَهمُّ شيءٍ في الأنوثة..
أنها ليست تُقالْ..

أيا امرأةً تتحدّى جميعَ نصوصي..
وأحتاجُ- حتى أكونَ على مستواها-
إلى عشراتِ اللغات!..

***

أحبُّكِ..
قبلَ الأنوثة..
بعدَ الأنوثة..
شرقَ الأنوثة..
غربَ الأنوثة..
يا امرأةٌ لا أراها..
ولكنها في جميعِ الجهاتْ..
فلا تخذليني إذا ما طلبتُ اللجوءَ إليكِ..
أنا سمكٌ يتخبطُ في كُحلِكِ العربي..
ويبحثُ عن فرصةٍ للحياةْ..

***

لأني أحبُّكِ..
أصبحتِ واحدةً من أهمِّ النساءْ..
وأسستِ عصراً جديداً..
وديناً جديداً..
وأصبحتِ في كتبِ الشعرِ محفوظةً..
وفي كتب الأنبياءْ..

* * *

غداً تعلمينْ.. غداً تعلمينْ..
بأن الرجالَ أحبوكِ بعدَ قراءة شعري..
وأني ما كنتُ في لعبةِ الحبِّ وحدي..
ولكنني كنتُ حزباً كبيراً من العاشقينْ!!.

* * *

إنني أرفضُ الطبقيةَ في الحب.. كما أرفضُها في السياسة..
وأفضلُ امرأةً عربيةً تعبق من مسامات جلدها..
رائحةُ القهوة والهال، والقرفةَ، واليانسون، والوردُ

البلدي.. على كلِّ دوقات ومركيزات العالم..

الحبُّ عندي، لا يحدث خارجَ التاريخ أبداً..

❊ ❊ ❊

لم أمارسْ أبداً الحبَّ بالنظارات.. ولا الجنسَ بالنظارات..

فلكي تكتبَ عن الحرب، لابد أن تحاربْ..

ولكي تكتبَ عن البحر، لابد أن تبحرْ..

ولكي تكتبَ عن الشوق، لابد أن تشتاقْ..

ولكي تكتبَ عن النار، لابد أن تحترقْ..

ولكي تكتب عن النهد.. لابد أن تعرف شيئاً عن تاريخ التفاح.. وكرويةِ الأرض..

❊ ❊ ❊

الشعرُ العذريُّ.. هو (حركة محرومين)..

والشعرُ الواقعي هو (حركة هيبيِّينْ)..

وأنا لا أفهمُ ماذا تعني كلمة (إباحية)..

إذا كانت بدلياتُ روما، وباريس، وفلورنسا، تعتبر تماثيل البرونز لفينوس العارية.. جزءاً من الأماكن المقدسة!!..

***

لا أستطيع أن أعشقَ إلا على الطريقةِ البدوية..
ولا أن أقبِّل شفةَ امرأةٍ..
بالشوكةِ والسكينْ..

***

حان الوقتُ.. لأُطلعَكِ على خرائط أنوثتكْ..
وأدلكِ على السهولِ التي يزرعونَ فيها القطن..
والوديانِ التي يتكاثرُ فيها الصفصاف..
والهضاب التي يتسلقُ عليها العنب..
والخلجانِ التي تتكاثرُ فيها الأسماك..
حان الوقتُ لتكتشفي..
كم أنتِ امرأة!!

***

حين أكونُ عاشقاً..
أصبحُ ضوءاً سائلاً..
لا تستطيع العينُ أن تراني..
حين أكونُ عاشقاً
أجعلُ شاهْ الفرس من رعيتي
وأدخلُ الشمسَ على حصاني..

* * *

حبُّكِ.. يا عميقة العينينْ..
تطرُّفٌ.. تصوُّفٌ.. عبادهْ..
حبكِ مثلَ الموتِ والولادهْ..
صعبٌ بأن يُعادَ مرتينْ!..

* * *

علمتني لندنٌ..
أن أرى حريتي دونَ حدودْ..
ونصوص الشعرِ من غيرِ حدود..

وطقوس الحبِّ من غير حدود..
علمتني.. كيف أن امرأةً أعشقُها..
ممكن أن تجعلَ العالمَ من غير حدودْ..

❊ ❊ ❊

لندن.. تُمْطرني ثلجاً.. وأبقى باشتهائي بدويًّا..
لندنٌ.. تمنحني كلَّ الثقافات.. وأبقى بجنوني عربياً..
لندنٌ.. تمطرني عقلاً، ، وأبقى فوضويًّا..

❊ ❊ ❊

مرحباً يا فاطمهْ..
لم يَرَ الريفُ البريطانيُّ من قبلِك..
عينين تقولان كلاماً عربياً..
فاشربي شيئاً من الغيمْ معي..
اشربي شيئاً من الحزنِ معي..
اشربي شيئاً من الشعرِ معي..
اشربي حتى تصيري امرأةْ..

واتركي الباقي عَليًّا!!..

* * *

ضوء الحداثة

١٢

إذا كان الشعرُ شركةً محدودة الأسهم
لخمسةِ أو عشرة أشخاص يجتمعون في غرفة مغلقة..
ويتعاطونه كنشرة سرية..
فهذا يعطيه صفةَ النوادي الخاصة كالنوادي الماسونية
.. ونوادي العراةِ.. والشاذين جنسيًّا.. وحارات اليهود...

* * *

إن مهمتي كشاعرٍ عربيٍّ تجعلني مسئولاً عن كلِّ شجرة..
وكل عصفورٍ.. وكل فلاح.. وكل صياد سمك.. وكلِّ
طفلٍ ذاهبٍ إلى المدرسة من طنجة.. إلى رأس
الخيمة..
هؤلاء هم أولادي في الشعر..

ولن يغمضَ لي جفنٌ حتى يعودَ جميعُ أطفالِ الوطن العربي، ويجلسوا معي على طاولةِ العشاء..

***

حين يعجز شاعرٌ عن أن يكون الناطقَ الرسميَّ باسم عصره.. فأكيدٌ أنه لن يكونَ الناطق باسمِ أيِّ عصر آخر..

***

هل يستطيعُ الشاعرُ العربيُّ أن يختبئ تحت لحاف اللامبالاة.. ويرفع سماعةَ الهاتف.. ويلبس بيجامتَه الحريرية..

ويشرب فنجان يانسون.. ويقول لخادمته:

«إذا سأل عني شخصٌ يسمى التاريخ.. فقولي له إنني مسافرٌ».

***

إن الشاعر الذي يعيش تحتَ جبةِ السلطة.. هو شاعر مختونٌ ختاناً فرعونيًّا!!.

الشاعرُ العربيُّ مثل الثورِ الإسباني، يعرفُ أنه سيموتُ في آخر الشوط،

ولكنه لا يستطيعَ الهروبَ من موته الجميلْ..

ربما كانت المقارنةُ بينَ الشاعر العربيِّ والثور الإسباني مقارنة تراجيدية،

ولكنهما يلتقيان في عظمة الشهادة..

فواحد يموت على ورقة بيضاءْ..

وواحدٌ يموتُ على حفنةِ رملْ..

* * *

الشعرُ هو فعل استشهادْ..

وعلى الشاعرِ الذي يخافُ أن يجرحَ النسيمُ خدَّيْه..

أن يشتغلَ حلاقاً نسائيًّا..

* * *

الشعر انقلابٌ بالكلمات يحاولُ تغيير وجهَ العالم.

انقلابٌ يقومُ به عاشقٌ ليحول الأرض إلى بستانِ عشقْ..

إذا لم يكن الفنانُ أصوليًّا كبيراً..
فلا يمكنه أبداً أن يكون انقلابياً كبيراً..

❊ ❊ ❊

العاصفةُ هي الحصانُ الوحيدُ الذي يليقَ بالشاعر أن يركبَه.. فالشاعر الذي لا يعرفُ الغضبَ، ولا يتصادمُ مع عصرِه، هو طبق (سباغتي) سهل البلع.. وسهلُ الهضم..

وأنا لا أريدُ أن أكون شاعراً من (شعراءِ السباغتي).. وما أكثرَهم..

❊ ❊ ❊

مهما كان عددُ السيافين كبيراً.. فإن عددَ الشعراء أكبر.. ومهما تكاثرَ الصيادون.. فإن العصافيرَ تتناسلُ بسرعةٍ خرافية..

❊ ❊ ❊

إن أمسيةً شعرية يقدمها شاعرٌ تترك حفراً وشقوقاً وأخاديد في أجساد الناس وفي أرواحهم وجهازِهم العصبي..

صحيحٌ أن التأثيرات التي يحدثها الشعر بطيئة بالنسبةِ لسرعة الرصاصة.. ولكن أسلوبَ الشعرِ في التغيير يشبهُ تنقيطَ حنفية الماء..

نقطة.. بعدَ نقطة.. بعدَ نقطة..

حتى يتشكلَ الطوفانْ..

❊ ❊ ❊

إنني شاعر ليبيرالي أكثر مما تتصورونْ..

ولا أريدُ أن يقال عني ذاتَ يومٍ، إنني أغلقتُ نوافذي في وجه عصفورٍ يغني جيداً..

❊ ❊ ❊

إنني بلا ترددٍ مع كلِّ شاعر يضيفُ إلى بيدر الشعرِ حبةَ قمحٍ صغيرةٍ، ويضيف إلى معارفي شيئاً لا أعرفه..

ويضيف إلى أحاسيسي شعوراً جديداً بالدهشةِ. إن كلَّ من يدهشني هو صديقي!!.

❊ ❊ ❊

أعظم تعريف للشعرِ سمعتُه من فمِ طفلٍ في الثانية عشرة، كان يحاورني في معرضِ الكتاب في بيروت:

«إنني أحبُّك، ياعمو نزار، لأن شِعْرَك يشبهني!!».

* * *

إنني لا أحتاجُ إلى أكثر من سرير انفرادي، كتلك الأسِرَّة المستعملةِ في المدارس، والمستشفياتِ، والسجونِ، لأكتب قصيدتي.

ولو أنني نمتُ بالصدفةِ على سريرٍ من طراز لويس السادس عشر.. لطار النومُ من عيوني.. وطارت القصيدة..

* * *

الجمهورُ كالطفلِ، لابد من أخذه بالعنف.. إذا اقتضت الضرورة. ولابد من شدِّ أذنيه إذا أهملَ واجباته القومية.

إذا كان الجمهور العربي منذ عام ١٩٧٠يرفض أن يستحم.. ويرفض أن يذاكر دروسَه.. ويرفض أن يصرخَ في وجه جلاديه.. فهل أتركَه يدخنُ الشيشة.. ويلعب الورق..

أم أكوي جلده بالنار.. هذه هي طريقتي في التربية القومية..
أما تربية عمرو بن كلثوم.. فلا تعجبني!!.

* * *

يقول الحداثيونَ: إنهم سيغيرون الحساسيةَ الشعرية العربية.. وإنهم سيقطعون آذانَنا.. ويستبدلونها بآذانٍ من العجين.. أو البلاستيك..

بعد العشراتِ من عمليات التجميلِ التي أجروها لنا،
بقيت آذانُنا الطبيعية في مكانِها..

وبقيت إذاعةُ أبي الطيب المتنبي تبث بواسطةِ الأقمار الصناعية دون توقف على الشعب العربي من الماء إلى الماء..

* * *

بعد أربعين عاماً من ترشيحِ الحداثةِ نفسِها لكرسي الشعرِ العربي، لم تستطعْ الحصولَ على مقعدٍ واحد في برلمان الشعر.

وهذا يعني أنها لن تستطيع أن تؤلفَ وزارة.. ولا أن تحكم..

* * *

لم تستطع حركةُ الحداثة منذُ الخمسينات حتى اليوم، أن تسجل هدفاً واحداً في ملعب الشعر.

وبقيت تلعبُ وحدَها، دون ملعب. ودون كرْة.. ودون متفرجين..

* * *

حربُ الحداثة حربٌ افتراضية.

فليس لديها خرائط.. ولا استراتيجيةْ.. ولا أسلحةْ.. ولا جنود ولا جنرالات..

وطبعاً.. ليس للحداثةِ قتلى معروفون.. ولا شهداء معروفون.. لأننا نحن قتلاها..

* * *

إن مدينة الشعر، تتغير بطلاءِ جدرانها، وتوسيع

ساحاتها.. وإضاءةِ شوارعِها.. وتجميلِ حدائقها.. أما استعمال (البلدوزر) لتحديثِ الشعرِ العربي.. فهو عمي تخريبيٌّ مرفوض..

* * *

لو قرأ قصيدة النثر (سورةَ مريم)..

لاختجلوا من أنفسِهم.. واكتشفوا كم هم أُمِّيُّونْ..

* * *

أنا أكرر رائحتي.. هذا صحيح.

كما تكرر الوردةُ الدمشقيةُ رائحتَها.. وكما تكرر عيونُ المها سوادَها.. وكما يكرر عُمر بن أبي ربيعة.. وأبونواس.. والعباس ابن الأحنف روائحَهم..

ولولا الروائح في الأدب..

لما استطعنا أن نفرقَ بين عطرِ طه حسين، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ..

عندما يلتقون في غرفةٍ واحدةْ..